

التحقيق

بأن زيارة القبر المزعوم لنبي الله هود

مضاهاة لبيت الله العتيق

مبحث مأخوذ من كتابي "الشهاب المرصود"

تأليف

أبي عبدالله

محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أحمد باجمال

التحقيق بأن زيارة القبر المزعوم لنبي الله هود مضاهاة لحج بيت الله العتيق

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم بأن غلاة الصوفية لهم شنائع عظيمة، تجانب الفطر السليمة، لا يعرفها ولا يقوم عليها شخص ذو عقل مستقيم، ومبعث سليم إلا أنكرها، وحذرهما وحذر منها، نوه بها على وجه الاختصار؛ لتكون منها على معزل وفرار:

الشُّنعة الأولى: الوقوع في الشراكيات

وأعظم شنائعهم في هذه الزيارة وما يترتب لها: نَشْرُ الشرك بالله ﷻ، ومظاهر الوثنية، والدعوة إليها، وتزيينها في صورة محبة الأنبياء والصالحين، فهذه أعظم شنائع القوم وأقبحها. اعلم -رعاك الله-: أن بلاد حضرموت كانت بلادًا سنية، معتنية بطرق العلماء الفقهية، فلما دخل التصوف وانتشر، تُرك منهج الفقهاء وبُتر، إلا ما رحم ربك.

قال الشلي في "المشرع الروي" (٥/٢): وكان أهل حضرموت مشغولين بالعلوم الفقهية، وجمع الأحاديث النبوية، ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية، ولا من يكشف اصطلاحاتهم السنيّة، فأظهر الأستاذ (يعني: الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي المتوفى سنة ٦٥٢هـ) علومها، ونشر أعلامها. اهـ.

وقال الصبان في كتابه "زيارات وعادات" (ص ٢٥-٢٦): كانت السنة النبوية قد أوضحت كيفية زيارة القبور، وأنها للسلام والترحم على الميت، ومن هذا المنطلق كانت زيارة السابقين.

ثم قال: ويقول الأستاذ عبداللاه^(١) بن حسن بلفقيه: كانت الزيارة عندهم وهي من عصر الفقيه وما قبله عبارة عن التسليم على الميت، والدعاء له، والترحم عليه، والاتعاظ بذكر الموت، وهي على مذهب الفقهاء... والذي كان يخلو من التوسل والتبرك.

(١) هكذا يكتبونه عندنا إذا كان الدال مخفوضًا أبدًا، وبه يفرقون بينه وبين (عبد الله) كون الحركات تظهر فيه.

ثم قال الصبان تحت عنوان (كيفية الزيارة الحالية من القرن التاسع الهجري): في عهد الإمام عبدالله بن أبي بكر العيدروس انتقلت كيفية الزيارة من الكيفية الفقهية إلى الطريقة الصوفية، والتي لا تقتصر على السلام والترحم، بل تتناول التوسل، والاستمداد، والتبرك بالمزار له. اهـ.

قلت: وهذا اعتراف منهم بتحول منهجهم، وتغير طريقتهم، من المنهج الفقهي إلى الفكر الصوفي، وأن زيارتهم مجانبة للأحاديث النبوية، والأحكام الشرعية، والآثار السلفية، وأنهم هم الذين غيروا الدين، وتركوا هدي سيد المرسلين، وأتوا بمنهج جديد، وفكر التنديد.

والعجيب: أن العيدروس المذكور -حسب زعمهم- بقي ١٣ سنة ينتظر الإذن الرباني في تغيير الزيارة من الطريقة الفقهية إلى الطريقة الصوفية، كما في كتاب الصبان (ص ٢٦) نقلاً عن عبد الله بلفقيه من كتابه "الفرائد في قيد الأوابد".

وقال الصبان أيضاً (ص ٢٩): وبعد أن تحولت زيارة نبي الله هود من الزيارة الشرعية -والتي هي على طريقة الفقهاء- إلى الطريقة الصوفية، -طريقة المدد، والتبرك بالمزار-، أصبح لهذه الزيارة عوائد وطقوس، ومنذ القرن التاسع الهجري. اهـ.

قلت: هذه الطقوس البدعية سيأتي بيان كثير منها -بإذن المولى- تحت هذا الفصل الذي يتضمن شنائع القوم في هذه الزيارة.

واليك نص صريح في الغرض من هذه الزيارة يكشف لك حقيقة مقاصدهم:

١- قال عبدالرحمن بن محمد العيدروس في كتابه "بذل المجهود" (ص ٢٠): فإن المقصود من الزيارة

الاستمداد من أرواح الأنبياء والأئمة، والعبارة عن هذا الإمداد: الشفاعة، وهذا يحصل من وجهين:

الاستمداد من هذا الجانب، والإمداد من الجانب الآخر، ولزيارة المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين.

أما الاستمداد: فهو بانصراف همة صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر،

حتى تصير كلفة همته مستغرقة في ذلك، وتقبل كلفته على ذكره، وحضوره بهاله.

وهذه الحالة: سبب مئبة لروح ذلك الشفيع والمزور حتى تمده تلك الروح الطيبة بما يستمد منها. اهـ.

قلت: فبالله عليكم أبهذا وجه نبي الهدى أصحابه وأمتة؟! أو قاله الأنبياء والرسل لأقوامهم؟!!

أقال أحد منهم: اقبلوا على قبور الأنبياء والصالحين بكليتكم حتى تنبهوهم؟! عجباً والله! يأتون مُفَرَّغِينَ قُلُوبَهُمْ متذللين لمن غَفَلَ عنهم، وليس بيده حلُّ عُقْدِهِمْ، ولا كشف كُرْبِهِمْ، ولا قضاء حوائجهم، ولا تستحضر قلوبهم الأحَدَ الصمدَ، ولا يتوجهون إلى الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يُرجع كلُّ شيء، وهو الحي القيوم، العليم الخبير، السميع البصير، الرؤوف الرحيم، الغفور الحليم!! أيُّ جهل أعظم من هذا الجهل، وأيُّ سفَه أكبر من هذا السفَه؟!

ألم يقرؤوا قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَ جَبِيبٌ أَلِيٍّ وَلِيُؤْمِنُوا أَنِّي لَعَٰلَهُمْ رَٰشِدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

صدق الله إذ يقول: ﴿فَإِنَّمَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

٢- وقال العيدروس أيضاً (ص ٢٧): والغرض من الزيارة: هو الاستمداد من أرواح الأنبياء والأولياء، والمراد بذلك: طلب الشفاعة منهم. اهـ.

وقال الصبان في كتابه "زيارات وعادات" (ص ٢٩): فمن الزوار: من يرحل للبيع والشراء، ويدفعه السوق التجاري إلى ذلك. ومنهم: من يرحل للنزهة، ويرى فيها متنفساً من متاعب العام. ومنهم: من يرحل للتبرك وطلب المدد من المزار له، ولكل امرئ ما نوى. اهـ.

قلت: وما قرره من أن الغرض من الزيارة طلب الشفاعة والمدد من المزار هو عين شرك المشركين الأوائل - وإياك أن تستعجل في رد الحكم بعاطفة أو حماس، أو غضب، حتى تسمع البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة من الكتاب والسنة، لا من الإسرائيليات، ولا المكاشفات، ولا المنامات، ولا مخترع الحكايات -، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

ينكر تعالى في هذه الآية على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، القائلين: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿ظانين أن تلك الآلهة تضرهم إن عصوها، أو تنفعهم شفاعتها عند الله إذا عبدوها، فأخبر تعالى أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئاً، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولا يكون هذا أبداً؛ ولهذا قال عقبها: ﴿قُلْ أَتَنْتِفُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ ﴿صحته أن له شريكاً﴾ ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾؟ ثم نزه نفسه عن شركهم وكفرهم، فقال: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، فسمى طلبهم الشفاعة من آلهتهم عبادة وشركاً فافقه! وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ﴿الزمر: ٢-٣].

فإن الله **جَلَّ جَلَالُهُ** بيده الشفاعة وهو يملكها ليست لغيره أبداً كما قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً﴾ ﴿الزمر: ٤٤].

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿هود: ٤٥-٤٦﴾، فهذا نوح **عليه السلام** أحد ينكر عظيم جاهه وشرفه عند الله؟ شفع - وهو حي - في ابنه فلم يقبل الله شفاعته، بل وأنكر عليه طلبها.

ومثله إبراهيم الخليل **عليه السلام**، شفع في قوم لوط **عليه السلام** كما قال تعالى عنه: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلْنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿فلم يقبل الله شفاعته وهو خليل الله وكان حياً، وقال له: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ إِنِّي تَبِيعُ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ﴾ ﴿هود: ٧٤-٧٦].

وهكذا لما استغفر إبراهيم **عليه السلام** لأبيه بعد وعده: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ ﴿إبراهيم: ٤١﴾، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ

إِنَّا بُرْءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ ﴿[المتحنة: ٤]﴾، فلم يقبل الله استغفاره لأبيه.

وهكذا نبينا ﷺ لما قال في عمه أبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» أنزل الله: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿[التوبة: ١١٣-١١٤]﴾.

وهكذا لما استأذن ربه أن يستغفر لأمه نهاه عن ذلك.

وهكذا لما استغفر للمنافقين، وصلى على عبدالله بن أبي بن سلول، أنزل الله هَيْئَةً عن ذلك ولم يقبل شفاعته نبيه ﷺ ولا استغفاره لهم، فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿[التوبة: ٨٠]﴾، ثم قال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿[التوبة: ٨٤]﴾.

وأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يخبر أمته بأنه لا يملك لهم من الله شيئاً، فقال له: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿[الجن: ٢١]﴾، وقال له: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ ﴿[الأعراف: ١٨٨]﴾، وقال له: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴿[يونس: ٤٩]﴾.

وفي البخاري (٢٧٥٣) ومسلم (٢٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿[الشعراء: ٢١٤]﴾ قال: «يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس ابن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا

فاطمة بنت محمد سألني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً، والأدلة في هذا المقام كثيرة جداً. وانظر: "مجموع الفتاوى" (١٤/ ٣٨٦-٣٨٧).

فتأمل كيف رد الله شفاعة بعض أنبيائه الذين لا يُنكر جاههم عند الله، وعظيم منزلتهم، هذا وهم أحياء، فكيف بمن يطلبها من الأموات، ويُشغل فكره بهم، ولا يذكر إلا إياهم؛ لتنبه أرواحهم له، واستمداداً منهم، وطلباً لشفاعتهم، وهم عنه غافلون؟! قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

ومن أمثلة أقوالهم الشركية بمناسبة الزيارة والحث عليها، والترغيب فيها:

قال عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر السقاف كما في "المنهل العجيب الصافي" (ص ١٥٣):

هوذا النبي المرسل بوادي الأحقاف قبره صحيح
سرُّ زُرِّه واحذر تكسُّل واطلب مرادك منه حول الضريح
تُعْطَى وتحظَى فاسأل بقلب منكسر فقير طريح

وقال أيضاً كما في "المنهل العجيب الصافي" (ص ١٥٧):

كن طريح جفئك قريح حول الضريح

قلت: هكذا يأمرهم بأن تُظهر الدُّل حول هذا القبر المزعوم لنبي الله هود، وهو من مظاهر الوثنية، وسيأتي من شعرهم التصريح بنداء نبي الله هود **الْكَلْبَلَا** من دون الله: (يا هود ...، يا هود).

وهكذا نداء مشايخ الصوفية وكبارهم: (يا شيخنا يا سقاف) (يا شيخنا يا محضار).

انظر: "زيارات وعادات" (ص ٣٠ و ٣٢)، و"الفكر والمجتمع في حضرموت" (ص ٢٩٤).

وقال الصبان في "زيارات وعادات" (ص ٤٠): ثم يجدو الحداة بالمأخذ، وهي عبارة عن

توسلات، وطلبات من النبي هود لزواره. اهـ.

ولهم في غير هذه المناسبة شركيات وكفريات - نثرًا وشعرًا - يجب أن يتوبوا منها توبة صادقة.

شهادة بعض المؤرخين والباحثين بمظاهر الوثنية وتجسدها في هذه الزيارة:

١- قال صلاح البكري في كتابه "تاريخ حضرموت السياسي" (١/ ٥٣): وقد بُلغ في تقديس هذا الضريح، فتراهم يشدون الرحال لزيارته، وعندهم شيء من بقايا الشعور الوثني الذي كان يشعر به العرب للآلات والعزى، يستعينون به، ويتجهون إليه، ويولون وجوههم شطره؛ لقضاء الحاجات، واستئزال البركات، ودفع الكربات. اهـ.

٢- وقال محمد بن عبد القادر بامطرف في "ملاحظاته على الهمداني" (ص ٦٦): ويحتمل أن يكون هذا المكان سوقاً من الأسواق اليمنية الموسمية القديمة، وقد أقيم فيها هذا القبر ليعطها طابعاً وثنيّاً جذّاباً. اهـ.

٣- وقال كرامة بامومن في كتابه "الفكر والمجتمع في حضرموت" (ص ٢٨٧): فالموقع من الناحية الطبيعية يشبه إلى حدّ ما ذلك الموقع المقدس لدى الهندوس، حيث يجري نهر الكنج المقدس،^(١) والذي يحج إليه الهندوس للعبادة والغسل والتطهير. اهـ.

وقال (ص ٢٩٤-٢٩٥): وتخفي هذه العادة المستحكمة اعتقاداً بقدسية هذه الشقوق التي أحدثها انفلاق الحجر، لولوج النبي هود واختفائه داخلها (زعموا)، إن هذه العادة تجسد الوثنية بعينها... ولماذا لا يجذر الوعاظ والمرشدون من مغبة هذا السلوك الوثني. اهـ.

٤- وقال المستشرقان -دانيال فان در ميولين، وفون فيسان- في كتابهما "حضرموت - إزاحة النقاب عن بعض غموضها" (ص ١٨٤): وفهمنا الآن من البدوي الذي يسمي نفسه مسلماً، ولكنه ما زال وثنيّاً، حيث يقترب من هذه البقعة برهبة مقدسة. اهـ.

الشُّنَّةُ الثَّانِيَّةُ: مناسك الزيارة مضاهاة للحج

ومن شنائعهم: مضاهاتهم بمناسك الحج لبيت الله الحرام، فإن الحج لغة: كثرة القصد إلى معظم. وهم يعظمون هذا الشعب ويبالغون في تعظيمه، ويجعلون له مراسيم ومناسك مدونة في كتبهم يصرحون فيها بمضاهاة الحج، كما في "زيارات وعادات" (ص ٢٨-٢٩)، وأما في "الفكر والمجتمع

(١) فكيف إذا عرفت أن باني قبة القبر المزعوم لهود: رجل من الهند، انظر: "أدوار التاريخ الحضرمي" (٢/ ٢٧١).

في حضر موت" (ص ٢٩٣) فجعل لها عنواناً: (الحج الأصغر)، وقال تحته: وقيل: إن زيارة هود تقوم مقام الحج لمن لا يستطيع الحج من أهل حضر موت، وأطلق على زيارة هود الحج الأصغر. اهـ.

قلت: وهو أمر معلوم عند عامة الناس، وإليك مناسكهم مضاهاة لحج بيت الله الحرام:

١- أن ما يُعمل في الزيارة من المناسك يكون مرتباً بلا تقديم شيء على آخر، ينصون على ذلك، ويؤكدون عدم مخالفته حتى تكون الزيارة صحيحة، كما في "زيارات وعادات" (ص ٣٤ و ٤١).

وتأمل كتاب "الدليل القويم" (ص ٣٩-٥٥) وهو يذكر مراسيم زيارة كل طائفة، تراها متفقة.

٢- أن طقوس هذه الزيارة تبدأ من الثامن من شعبان وتنتهي بالثالث عشر، مثل حج بيت الله الحرام يبدأ بالثامن من ذي الحجة وهو يوم التروية، إلى يوم الثالث عشر.

٣- لهم ميقات يبدؤون فيه التهاويد - وهو قولهم: (يا هود يا نبي الله ... يا مولى النهر-)، مضاهاة لمواقيت الحج والتلبية، يبدأ أولاً كل أهل بلد بزيارة أضرحة الأولياء في بلده، ثم على جميع من يمر بعينات زيارة قبر أبي بكر بن سالم وأبنائه في عينات، كما في "الدر المنضود" (ص ٦٦)، ويقولون في أهازيج مع تحريك الأرجل والأبدان وتكرار:

يا نبي الله جِئْنَا إِلَيْكَ والمُنْشَرِ عَلَيْنَا والمَرْجِعِ عَلَيْكَ

أي: الذهاب علينا، والعودة عليك، وهذا توكل على الأموات، ورد الأمر إليهم، وهو شرك بالله العظيم، وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

٤- رمي ما يسمى عندهم بالمحذفة، وهكذا رمي قبر الكافرة أو الكافر، مضاهاة لرمي جمرة العقبة وبقية الجمرات.

أما رمي المحذفة: فمبناه عند القوم على قصة منسوبة لعمر الحضار في تعرض الشيطان له.

انظر: "إدام القوت" (ص ٧٩٩-٨٠٠)، و"نيل المقصود" (ص ١٥١).

ويستدلون على مشروعية رجم ما يسمى بالكافرة أو الكافر بحديث رجم أبي رغال^(١).

٥- الاغتسال للزيارة من النهر الذي يزعمون أنه من أنهار الجنة، وأنه اغتسال للتوبة، وهذا مضاهاة للاغتسال للإحرام، وأنه يرمز إلى تطهيرهم من الخطايا والذنس.

انظر: "كتاب الصبان" (ص ٣٨)، و"الدر المنضود" (ص ٥٩).

وتولد من ذلك بين العامة: (من اغتسل في هذا النهر خرجت منه خطايا).

ومن المضحكات: أن ماء النهر إذا قلَّ قرب الزيارة ولم يصل إلى الأماكن المقدسة عندهم، شقوا له بالشيولات والآلات الحديثة حتى ينحدر منه شيء إلى ذلك الموضع حتى تتم الزيارة.

٦- صلاة ركعتي الوضوء بعد الاغتسال خلف حصاة عمر المحضار، مضاهاة للصلاة خلف مقام إبراهيم عليه السلام. **انظر:** "كتاب الصبان" (ص ٣٨).

٧- ثم يتوجهون إلى (بئر التسلوم) حيث تبدأ مراسيم الزيارة عندها.

وصيغة التسليم عندهم: يتدئ بالسلام على هود ثلاثاً، ثم يقول: السلام عليك وعلى محمد، السلام عليك وعلى أحمد، ثم على الأنبياء والملائكة والصالحين واحداً واحداً، يقول: السلام عليك وعلى آدم، السلام عليك وعلى حواء، وهلم جرا، ثم يدعو، ثم يتوجهون رافعي أصواتهم بالدعاء إلى القبر ويعيدون ذلك التسلوم، ويقرءون سورة هود، ويستحبون أن يكون النظر حين السلام إلى أسفل ما يستقبله إظهاراً للاحترام، **انظر:** "بذل المجهود" (ص ٢٤-٢٦)، و"زيارات وعادات" (ص ٣٩).

والعجيب: أنهم يقدمون هوداً في السلام على نبينا محمد وعلى سائر الأنبياء، مع أنهم يزعمون اجتماع أرواح الأنبياء والصالحين في هذه البئر، فما وجه هذا التقديم؟ هكذا البدع والأهواء.

(١) أبو رغال رجل من قوم نبي الله صالح عليه السلام، لما لحقت قومه النقمة كان في حرم الله، فلما خرج أصابته، كما عند أبي داود

(٣٠٨٨) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه بسند ضعيف فيه: بجير بن أبي بجير مجهول.

وأخرجه أحمد (٢٩٦/٣) من حديث جابر رضي الله عنه وفيه: عننة أبي الزبير.

وأخرجه أحمد (١٤/٢) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه بسند صحيح عن عمر رضي الله عنه في قصة أنه قال لرجل: ولأمرن

بقبرك فيرجم كما رجم قبر أبي رغال.

فإن قيل: لماذا هذا التسلوم على أنبياء؟.

قال العطاس كما في "تذكير الناس" (ص ٢٣٠-٢٣١): وكان الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر إذا أراد زيارة أحد من الأولياء خط دائرة في الأرض، واستدعى أرواح من شاء منهم؛ لأن الأرواح منتشرة في الآفاق، مثل الهواء ما يخلو منه الفضاء، وإذا أردت أن تمسك شيئاً منه لا يمتسك، وهكذا كان السلف في تسليمهم على الأنبياء في شعب نبي الله هود حول البئر المعطلة يستدعون أرواح الأنبياء فتحضر. اهـ.

٨- التمسح والتقبيل للصخرة التي وسط القبة، مضاهاة باستلام الحجر الأسود وتقيله.

انظر: "تاريخ حضرموت السياسي" للبكري (١/ ٥١-٥٢).

والعجب: أنهم ينصون في بعض الكتيبات إنكار ذلك، ولا ترى منهم إنكاراً علناً في مجالسهم قبل الذهاب، ووقت الزيارة، مما يشير إلى الرضا بذلك.

وهذا يذكرني بما قال لي والدي رحمته: رأيت بعض الجهلة بـ (الغرفة) يأكلون تراب الموتى تبركاً، ويضعونه على رؤوسهم، فسمعت بعض الصوفية يقول حين رأيهم: خلهم يستاهلون. اهـ.

قلت: ومما يبين رضاهم على ذلك أيضاً: ما أورده العيدروس شعراً في "بذل المجهود" (ص ١٠) عن علي بن أبي بكر فيما سماه بآداب الزيارة:

وَأَلْتَمَّ ثَرَى تِلْكَ الْبَقَاعِ مَرْعَاً بِخَدِيكَ تَعْظِيماً وَلِلْثَرِبِ قَبْلِ

وَلَا تَسْمَعِ الْوَاشِي، إِذَا مَا نَهَاكَ قُلْ خَلَعْتَ عِذَارِي فِي هَوَاهِمِ وَحَوَّلِ

وقال ابنه عبدالرحمن كما في "المنهل العجيب الصافي" (ص ١٥٧):

وَلِلْـتَرَابِ فَقَبْلُ وَلَا تَطِيعِ الْعَوَاذِلِ

ومما يتمسحون به: حفرة صغيرة قريبة من القبر يزعمون أنها أثر نبي الله هود عليه السلام، مضاهاة لمقام إبراهيم عليه السلام، مع أنك إذا تأملتتها وقارنتها بما يزعمون أنه قبر هود لا ترى تناسباً إطلاقاً.

وفي "المجموع شرح المذهب" للعلامة النووي رحمته (٥/ ٣١١): قال الإمام أبو الحسن محمد بن مرزوق الزعفراني - وكان من الفقهاء المحققين - في كتابه في الجنائز: ولا يستلم القبر بيده، ولا يقبله،

وعلى هذا مضت السنة، ... واستلام القبور، وتقبيلها الذي يفعله العوام الآن من المبتدعات المنكرة شرعاً، ينبغي تجنب فعله، وينهى فاعله.

إلى أن قال: قال أبو موسى: وقال الفقهاء المتبحرون الخراسانيون: المستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلاً وجه الميت، يُسلم، ولا يمسح القبر، ولا يقبله، ولا يمسه؛ فإن ذلك عادة النصارى. قال: وما ذكروه صحيح؛ لأنه قد صح النهي عن تعظيم القبور، ولأنه إذا لم يُستحب استلام الركنتين الشاميين من أركان الكعبة لكونه لم يسن مع استحباب استلام الركنتين الآخرين، فلأن لا يستحب مس القبور أولى، والله أعلم. اهـ.

وقال أيضاً (٨ / ٢٧٥): قالوا: ويكره مسحه (أي: قبر النبي ﷺ) باليد، وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضره في حياته ﷺ، هذا هو الصواب الذي قاله العلماء، وأطبقوا عليه، ولا يغتر بمخالفة كثيرين من العوام وفعلهم ذلك؛ فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة، وأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم.

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد»، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه عملنا فهو رد»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم»، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وقال الفضل بن عياض رحمته الله: - ما معناه - : اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين.

وَمَنْ خَطَرَ بِبَالِهِ: أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع، وكيف ينبغي الفضل في مخالفة الصواب. اهـ.

وقال البجيرمي في «تحفة الحبيب على شرح الخطيب» (٢ / ٥٧٣): فزوروها بشرط أن لا يقترن بذلك تمسيح بقبر، أو تقبيله، أو سجود عليه، أو نحو ذلك؛ فإنه دأب النصارى، قاله الغزالي. قال السبكي: فعل ذلك بدعة منكرة، إنما يفعلها الجهال. اهـ.

وانظر: "إحياء علوم الدين" للغزالي (٤/ ٤٩١)، و"فتاوى السبكي" (١/ ٢٨٩).

وقال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (٤/ ٥٢١): اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الاستلام، ولا التقبيل، إلا للركنين اليمانيين؛ فالحجر الأسود يستلم ويقبل، واليماني يستلم. وقد قيل: إنه يقبل، وهو ضعيف. وأما غير ذلك فلا يشرع استلامه، ولا تقبيله؛ كجوانب البيت، والركنين الشاميين، ومقام إبراهيم، والصخرة، والحجرة النبوية، وسائر قبور الأنبياء والصالحين. **اهـ.**

وعَدَّ استلام القبور من الكبائر: ابن حجر الهيتمي الشافعي في كتابه "الزواجر عن اقتراف الكبائر" (٢/ ٢٤٤).

٩- اتخاذ يوم العاشر من شعبان يوم عيد بالشعب، مضاهاة لعيد الأضحى.

بل يعتبرونه خير عيد، قال عبد الله بن علوي الحداد في ديوانه "الدر المنظوم" (ص ١٩٥):

ذكراني ليال قد خلت حول هود شعب قبر النبي المرسل وفيّ العهود

إلى أن قال:

حيّ عيداً بها فاقت كل عيد مع رجال الوفا من منسين الحدود

١٠- الذبح في يوم العاشر، مضاهاة لذبح الذبائح، ونحر النحائر يوم العاشر، ويتفنون في إعداد الطعام، وألذ المأكولات. **انظر:** كتاب الصبان "زيارات وعادات" (ص ٤٣).

١١- الشرب تبرّكاً من نهر يسمى بنهر هود، والأخذ منه للأهل هدية، مضاهاة لفعل الحجاج والمعتمرين بماء زمزم. **انظر:** "عادات بادت" (ص ٧٨) لابن شهاب، و"الفكر والمجتمع في حضرموت" (ص ٢٩٠).

قال الحامد في "تاريخه" (١/ ٦٧) مشككاً في هذا النهر الموجود الآن: وهذا النهر غير موجود اليوم، ولا يجوز أن يكون هو الماء غريبه في المسيل العميق الذي خددته السيول، فهذا إنما هو من آثار حفر السيول، وهو ناشئ بعد خراب سد حضرموت. **اهـ.**

١٢- الوقفة وتكون في اليوم الحادي عشر، وهي عندهم ركن في الزيارة من فاتته فاته فضل الزيارة، مضاهاة للوقوف بعرفة، حتى قال أحمد بن محمد المحضار واصفاً لها في قصيدة له مشهورة:

وَقَفَّةٌ تُشَبَّهُ بِالْحَجِّ يدعون في ذلك الفج الأرض منها ترج

بصوت واحد يا هود

وانظر: كتاب الصبان "زيارات وعادات" (ص ٤١).

قلت: فانظر إلى هذا الغلو، ودعائهم غير الله بكل صراحة.

١٣- الحلق أو التقصير في اليوم الثالث عشر كلُّ أمام مدينته أو قريته، ويعتبرونه يوم التطيب.

انظر: كتاب الصبان "زيارات وعادات" (ص ٤٣).

١٤- لهم نفرتان، الأولى لمن كان بعيداً عصر الحادي عشر، والثانية بعده لمن كان قريباً، مضاهاة

للفر في أيام التشريق. **انظر:** كتاب الصبان "زيارات وعادات" (ص ٤٣).

١٥- اعتبار هذه الأيام أيام عيد يتبادلون فيها عبارات التهاني، كما في "الدليل القويم" (ص ٤٦).

١٦- إقامة الخطب ومجالس التذكير: بشرف الزيارة وما كان عليه سلفهم، وبالموت ومحبة أهل

البيت والفضل بعد الانتهاء من مراسيم الزيارة عند الصخرة، مضاهاة بخطبة عرفة والنحر.

انظر: "زيارات وعادات" (ص ٤٠)، و"الفكر والمجتمع في حضرموت" (ص ٢٩١).

١٧- الطواف حول مقبرة تريم القديمة - زنبل والفريط وأكدر - يوم الرابع عشر سبع مرات عند

العودة، مضاهاة بطواف البيت، ومن أقوالهم في أصوات مرتفعة: (زرنا وقد رجعنا عسى القبول

معنا)، كما في كتاب "الفكر والمجتمع في حضرموت" لكرامة بامومن (ص ٢٩٢).

وهذا ذنب جسيم، وإثم عظيم، لا يجوز السكوت عنه، ولا الرضا به، بل يجب إنكاره، وإشهاره،

حتى يحذره المسلم؛ فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

قال العلامة النووي في "المجموع" (٨ / ٢٧٥): لا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ. اهـ.

فهذا قبر رسول الله ﷺ وهو أشرف قبر، هل كان الصحابة الكرام الذين فدوه بأنفسهم،

وأعراضهم وأموالهم يطوفون بقبره، فما بال هؤلاء الصوفية لا يكادون يفقهون حديثاً؟!.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (٤ / ٥٢١): وقد اتفق المسلمون على أنه لا

يُشرع الطواف إلا بالبيت المعمور، فلا يجوز الطواف بصخرة بيت المقدس، ولا بحجرة النبي ﷺ،

ولا بالقبة التي في جبل عرفات، ولا غير ذلك. اهـ.

وقال في (٢٦/ ٢٥٠): فإن الطواف لا يشرع إلا بالبيت العتيق باتفاق المسلمين. ولهذا اتفقوا على تضليل من يطوف بغير ذلك مثل: من يطوف بالصخرة، أو بحجرة النبي ﷺ، أو بالمساجد المبنية بعرفة، أو منى، أو غير ذلك، أو بقبر بعض المشايخ، أو بعض أهل البيت كما يفعله كثير من جهال المسلمين؛ فإن الطواف بغير البيت العتيق لا يجوز باتفاق المسلمين، بل من اعتقد ذلك ديناً وقربة عَرَفَ أن ذلك ليس بدين باتفاق المسلمين، وأن ذلك معلوم بالضرورة من دين الإسلام، فإن أصر على اتخاذه ديناً قُتِلَ. اهـ.

وعَدَّ الطواف بالقبور من الكبائر: ابن حجر الهيتمي الشافعي في كتابه "الزواجر عن اقتراف الكبائر" (٢/ ٢٤٤)، وانظر: "فتاوى السبكي" (١/ ٢٨٩) فإنه نهى عن الطواف بقبره ﷺ.

١٨- اتخاذا أيامها أيام عطلة عن الوظائف، والفلاحة، والعمل، حتى قال قائلهم:

ثمانية أيام باتسلى صباح المقود ثمانية أيام في راحه ونحن قعود

انظر: "عادات وزيارات" (ص ٣٥).

١٩- تنتهي الزيارة بالشعبانية عصر يوم الرابع عشر ليلة الخامس عشر، يُقرأ دعاء شعبان المشهور عندهم، وتزار المشاهد والأضرحة، ثم تقام الألعاب الشعبية، كما في "عادات وزيارات" (ص ٤٥).

٢٠- تصنيف رسائل صغيرة تشتمل على آداب مناسك الزيارة، وما يستحب عندهم فعله وقوله، من أعمال، وأوراد، مضاهاة لتلك الكتب المصنفة في مناسك الحج والعمرة.

خاتمة: نداء لكل مسلم غيور

إذا علمت -رعاك الله- ما تقدم ذكره، وقد ظهر لك خطره، فلا يجوز لمسلم غيور على دينه: أن يعين على هذه الزيارة بأي نوع من أنواع الإعانة لا برأي، ولا بهال، ولا بنفس، ولا بتجارة، ولا بطعام، ولا بشراب، ولا بشيء، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مَثَلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، وقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[المائدة: ٢]، وقال عزّ ثناؤه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِينَ﴾ [القصاص: ٥٥]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

وإن خرافات القوم وتراهاهم قد ملئت بها كتبهم ومجالسهم، هذا على حسب ما ظهر، وما خفي منها كان أضر، وإن مدّ الله في العمر، وهياً لنا وقتاً، نخلنا ما فيها، وأظهرنا باطلها، وكشفنا للناس كذبها - بحوله وقوته وإعانتته -.

وإني أدعو: كل غيور على عرين الإسلام، وعلى دعوة خير الأنام ﷺ، ومنهج الصحابة والسلف الأعلام رحمهم، أن يبذل من وقته وعمره، وعلمه وأثره، ونظمه ونثره، وماله ومنصبه، وجاهه وحسبه، في كشف شر هذه الطائفة المُبَغَّضَةِ، وأمّها الرافضة، وغيرهما من الطوائف المارقة، والفِرَقِ المنافقة، التي تنخر في الإسلام باسمه، وتُدخلُ سمومها تحت رسمه، وهم في بُعْدٍ ومنأى عن قواعده وفهمها، وأصوله وهضمها، فشمروا يا رجال الحق وحملة الهدى، لكشف حقيقة أهل الردى، ومنهج الخرافة، وفكر السخافة، وإن كان قد أبلى في الباب رجال، ولكن لا مانع من تكرار النصيح وبيان ما هم عليه من سوء حال؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

فهرس الموضوعات

التحقيق بأن زيارة القبر المزعوم لنبي الله هود مضاهاة لحج بيت الله العتيق	٥
الشُّنعة الأولى: الوقوع في الشراكيات	٥
الشُّنعة الثانية: مناسك الزيارة مضاهاة للحج	١١
خاتمة: نداء لكل مسلم غيور	١٨
فهرس الموضوعات	٢٠